

ضغطة القبر

الشيخ : يوسف الساكت

هذا مقال في أحد مواضيع الحياة البرزخية، وهو: «ضغطة القبر»، وسنتحدث حولها في عدة مسائل هي: الأحاديث في ثبوتها، الإجماع على ثبوتها، كيفية ضغطة القبر، وأثرها في الميت، وأخيرا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن ضغطة القبر.

كيفية ضغطة القبر

وأثرها في الميت

أما كيفية الضغطة فقد قال أبو القاسم السعدي مبيناً إياها: «المُرَاد بِضَغْطَةِ الْقَبْرِ التَّقَاءَ جَانِبِيهِ عَلَى جَسَدِ الْمَيِّتِ» (١٠).

قلت: هكذا قال، ولا يخفى أن الضغطة غيبية، وكيفية الغيبيات لا تعلم إلا بالدليل، ولم أجد لما ذكره دليلاً، وقد يكون ما ذكره حقاً، وقد تكون الضغطة بكيفية أخرى، وعليه فيقال: نحن نؤمن بالضغطة، ونفوض علم كيفيتها لله رب العالمين. وأما أثرها على بدن الميت فإن ابن رجب ذكر الأنواع الواردة في عذاب القبر، وعد منها تضيق القبر، فقال: «ومنها: تضيق القبر على الميت حتى تختلف فيه أضلعه، وقد سبق ذلك في أحاديث متعددة» (١١)، والتضيق الوارد في الأحاديث المتعددة التي أشار إليها هو التضيق على من لم يوفق للإجابة على أسئلة منكر ونكير. ثم قال تحت هذا النوع من أنواع

الأمة من أمور الديانة من السنن... وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون» (٣).

ويستفاد من كلام المزني، حيث قال في (السنة): «ثم هم بعد الضغطة في القبور مسؤولون» (٤)، وقد قال في آخر السنة: «هذه مقالات اجتمع عليها الماضون» (٥).

ويستفاد من كلام ابن بطة في «الإبانة الصغرى»، حيث قال: «فيلزم القلب أنك ميت، ومضغوط» (٦)، وقد نقل اتفاق العلماء على مسائل كتابه، حيث قال: «ثم على إثر ذلك: شرح السنة من إجماع الأئمة» (٧).

ويستفاد من كلام معمر بن أحمد في رسالته التي قال في مطلعها: «ولما رأيت غربة السنة... أحببت أن أوصي أصحابي... وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر» (٨)، وقد ذكر في الوصية ضغطة القبر، حيث قال: «وضغطة القبر حق» (٩).

بعض الأحاديث في ثبوتها

قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» (١).

وقال ﷺ: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ» (٢).

هذان الحديثان، وسائر الأحاديث المثبتة للضغطة اختلف في ثبوتها أهل العلم، والقول بالضغطة ثابت، وإن قيل بعدم ثبوت الأحاديث، وذلكم لثبوت الإجماع فيها، وهذا ما تقف عليه في:

الإجماع على ثبوتها

يستفاد الإجماع من كلام ابن أبي زيد القيرواني، فقد ذكر في كتابه في السنة بعض أمور الديانة المجمع عليها، وعد الضغطة منها، حيث قال: «فيما أجمعت عليه



تأثره ببيكاء أهله عليه وألم قيامه من قبره وألم الموقف وهوله وألم الورد على النار ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هي من عذاب القبر ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقى يرفق الله به في بعض ذلك أو كله...»(١٤).

من مكفرات الذنوب

ذكر شيخ الإسلام في (منهاج السنة) عشرة أسباب تندفع بها عقوبة جهنم، وجعل الضغطة منها، حيث قال: «السبب الثامن: ما يبتهل به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»(١٥). بدأ تم المقصود، والله أسأل أن يعيدنا من عذاب القبر، ويخفف عنا ضمته.

الهوامش:

- ١ - رواه أحمد (٢٤٢٨٣).
- ٢ - رواه النسائي (٢٠٥٥).
- ٣ - اجتماع الجيوش الإسلامية (٢١٥) - (٢١٩).
- ٤ - اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٤٨).
- ٥ - المصدر السابق (٢٥١).
- ٦ - الإبانة الصغرى (١٣٦).
- ٧ - الإبانة الصغرى (٢٣).
- ٨ - الحجة في بيان المحجة (٢٤٧/١).
- ٩ - المصدر السابق (٢٤٩/١).
- ١٠ - شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (١١٤).
- ١١ - أهوال القبور (٥٦).
- ١٢ - وهذا ما يفيد كلام محمد التيمي، فانظر «شرح الصدور» (١١٥)، والشيخ ابن عثيمين بين في «الفتاوى» (٤٧٠/١٧) أنه المراد من الحديث إن صح.
- ١٣ - قال بهذا الحكيم الترمذي، فانظر (شرح الصدور) (١١٥).
- ١٤ - السير (١٧٨/٣).
- ١٥ - (٢٣٨/٦)، وانظر أيضاً جواب الاعتراضات المصرية (٧٢).

التضييق عام للمؤمن والكافر، وصرح بذلك طائفة من العلماء منهم ابن بطة وغيره

ليست عذاباً، ولا ألم معها، وإنما هي كضمة الوالدة لولدها الغائب(١٢). وقال بعضهم: إنها عذاب، وإن المرء مهما بلغ من الصلاح فلا بد أن يقع منه تقصير، فيضغط بسببه(١٣). وقال بعضهم: هي مؤلمة، وليست عذاباً؛ فلا يلزم من الإيلام التعذيب. وهذا أولى ما يقال فيها، والله أعلم؛ إذ القول الأول يباه ظاهر الأحاديث المثبتة للضغطة؛ فإنها تدل على أنها مؤلمة.

والقول الثاني يفيد أن الله يعذب أهل الإيمان والتقوى، وهذا معارض بأدلة منها: قوله ﷺ: «وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، وقوله: «فقل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

وأما ثالث الأقوال فلا يخالف ظاهر أحاديث الضغطة، ولا يعارض نصوص نفي العذاب عن المؤمنين. قال الذهبي: «هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه وألم سؤاله في قبره وامتحانه وألم

من أهل العلم من قال: إن الضغطة ليست عذاباً، ولا ألم معها، وإنما هي كضمة الوالدة

العذاب: «وقد ورد ما يدل على أن التضييق عام للمؤمن والكافر، وصرح بذلك طائفة من العلماء منهم ابن بطة وغيره» ثم طفق يذكر أحاديث الضغطة.

وهذا منه رحمه الله تعالى يفيد أن كيفية التضييقين واحدة، حيث ذكر كيفية التضييق، وأشار إلى الأحاديث المتعددة التي سبق ذكرها، وهي في التضييق على من لم يجب عن أسئلة الملكين، ثم ذكر أن هذا التضييق يعم المؤمن أيضاً، وأخذ يذكر أحاديث الضغطة.

وفي الأحاديث التي ذكرها في ضغطة القبر حديث واحد يحتمل أن تكون ضغطة القبر على كيفية التضييق التي ذكرها إلا أنه رحمه الله قد ضعفه، حيث قال: «وخرج أحمد من حديث محمد بن جابر عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن حذيفة قال كنا مع الرسول ﷺ... قال: «يضغط المؤمن ضغطة تزول منها حمائله ويملاً على الكافر ناراً» ومحمد بن جابر هو اليمامي: ضعيف، وأبو البخري لم يدرك حذيفة».

وقد نظرت فيما عثرت عليه من أحاديث في «ضغطة القبر»، ولم أجد ما يعتمد عليه في إثبات ما ذكره ابن رجب من أثر للضغطة على البدن، وعليه، فيقال في هذه المسألة مثل ما قيل في كيفية الضغطة.

وهو رحمه الله قد جعل أثر هذه الضغطة كأثر الضغطة التي تكون بعد سؤال الملكين لمن لا يوفق للإجابة المنجية، وهذا لا يصح؛ إذ هو إلحاق لضغطة تعم أهل الإيمان وغيرهم بضغطة تختص بالكفار والمنافقين.

وإتماماً لبيان أثر الضغطة على البدن أقول: من أهل العلم من قال: إن الضغطة